بسم الله الرحمن الرحيم

الـديــــن المعـــامـلـــــة

١٧ من ذي القعدة ١٤٣٥هـ ـ ١٢ من سبتمبر ٢٠١٤م

العـنـاصـر :

١ – المقاصد العليا للشريعة الإسلامية .

٢– ثمرات العبادات في الإسلام .

٣– فضائل المعاملة الحسنة والسلوك الطيب في الإسلام .

٤– منهج الإسلام السمح في البيع والشراء

٥– الانضباط الأخلاقي الأمانة ، الصدق ، الوفاء بالوعد

٦ – دعوة الإسلام إلى المعاملة الحسنة (مع الأطفال و الخدم و الأعداء).

٧– رسائل ونصائح لأبناء الأمة (طبيباً– مهندسًا – مدرسًا – مواطنًا ......)

٨– أثر المعاملة الحسنة على الفرد والمجتمع .

الأدلـــــة من القـــرآن :

١–قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب:٢١] .

٢– و قال تعالى : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ " [الأعراف: ١٩٩].

٣– وقال الله تعالى: " وقُلْ لعبادي يقولوا الَّتي هيَ أحسنُ إنَّ الشَّيطانَ يَنزَغُ بينَهُم إنَّ الشَّيطانَ كان للإنسانِ عدوّاً مُبيناً " [الإسراء ٥٣] .

٤– وقال تعالى " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" [المؤمنون : ١–١١] .

٥– وقال تعالى " يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ " [لقمان ١٧] .

٦– وقال تعالى : " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ " [ال عمران: ١٩٥] .

٧- و قال تعالى (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) [الأحزاب: ٧٢] .

٨- وقال تعالى : " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ " [الفتح ٢٩] .

٩-وقال تعالى (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) [الإسراء: ٣٤].

الأدلــة من الســـنة :

١-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ . فقالوا: المفْلسُ فينا من لا درهم له، ولا متاع، فقال: إن المفْلسَ مَنْ يأتي يوم القيامة؛ بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شَتَمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حَسَناتُهُ . قبل أن يُقْضى ما عليه . أُخِذَ من خطاياهم؛ فطُرِحَتْ عليه، ثم يُطْرَحُ في النار)) ، [أخرجه مسلم] .

٢- ورُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:(قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا ،غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ :"هِيَ فِي النَّارِ". قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقِطِ – القطع من الجبن– وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ) [رواه أحمد].

٣- و(عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلَا بِلَعَّانٍ، وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ ") [مسند أحمد] .

٤- وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَلَّ مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلا قَالَ : " لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ " [صحيح ابن حبان] .

٥- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ. [سنن أبي داود] .

٦- وعن ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم (حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنْ النَّاسِ " . [الإمام أحمد في مسنده]

٧- وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» [صحيح مسلم] .

٨- و (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وحُسْن الخُلُق) .[الإمام البزار في مسنده] .

٩- وعن جابر رضي الله عنه: قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى ، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى ، سَمْحًا إِذَا قَضَى.) [صحيح ابن حبان].

١٠- وعن عمر بن أبي سلمة: «كنت غلامًا في حِجْر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة؛ فعلَّمه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في رفق ولين كيف يأكل فقال له: «يا غلام سم الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك». [صحيح البخاري] .

الموضـــــــــــــــــــوع :

إن الشريعة الإسلامية السمحة لها مقاصد وغايات تحقق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة ليتمكن من خلافته في الأرض، وقد جاءت الأحكام الشرعية دليلا ومرشدا لتساعده في تحقيق مصالحه، وتجلب المنافع له، وتدفع عنه الشرور و المضار ، فتدلّه على كل خير، وتهديه إلى الطريق المستقيم.

وما من مصلحة في الدنيا والآخرة إلا وقد رعاها الشرع، وأوجد لها ما يكفل إيجادها والحفاظ عليها وما من مفسدة في الدنيا والآخرة إلا وحذّر منها وأوجد لها بديلا .

قال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى: « اعلم أن الله سبحانه لم يشرع حكمًا من أحكامه إلا لمصلحة عاجلة أو آجلة ، أو هما معًا ، تفضلاً منه على عباده »، ثم قال: « وليس من آثار اللطف والرحمة واليسر والحكمة أن يكلف عباده المشاق بغير فائدة عاجلة ولا آجلة، لكنّه دعاهم إلى كل ما يقربهم إليه » .

ومن مقاصد الشريعة الإسلامية المحافظة على الكليات الخمس التي نادى بها رسل الله الكرام (عليهم السلام) ووجوب المحافظة عليها ، وهي الدين، والنفس، والعقل، والنسب، والمال، والعرض، ومنها اليسر ورفع الحرج والمشقة .

إن الغاية المنشودة والثمرة المرجوّة من الطاعات والعبادات في الإسلام هي تزكية النفوس البشرية وتقوية صلة الإنسان بربه وخالقه ، وبمن يعيشون معه في مجتمعه ، لتؤتي أكلها إذا صدقت النية ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، قال تعالى " اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) " العنكبوت (٥٤) .

وبالزكاة تتآلف القلوب وتتطهر النفوس والأموال ، قال تعالى " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (التوبة ١٠٣) .

وبالصوم يتدرب المسلم على الصبر ، وبالحج ومناسكه تغرس الفضائل في قلوب المسلمين وتدعوهم إلى محاسن الأخلاق ، قال تعالى " الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ

يَا أُولِي الْأَلْبَابِ " [البقرة: ١٩٧] ، فالعبادات والطاعات لها ثمرات جليلة حين تجتمع مع المعاملة الحسنة والسلوك الطيب .

ومن تتبع نصوص القرآن الكريم وسنّة النبي (صلى الله عليه وسلم) يجد أنها اعتنت بمعاملة الناس معاملة حسنة، ولننظر إلى الآية الكريمة التي جمعت أصول فضائل المعاملة الحسنة قال تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الأعراف: ١٩٩] . فجمعت الآية الكريمة أصول الفضائل ومكارم الأخلاق فيما يتعلّق بمعاملة الإنسان مع الغير :

الأول : الأخذ بالعفو ، وهو السّهل اللين من أخلاق الناس وأعمالهم، دون تكليفهم بما لا يطيقون ، وأن يصل الرحم المقطوعة ، وأن يرفق بالمؤمنين ، كما ورد عن أنس بن مالك عن النّبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) : "يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا". [متفق عليه] .

والثاني : الأمر بالعرف وهو المعروف والجميل من الأفعال ، وهو كل ما أمر به الله تعالى ، واستحسنه أهل الخير ، فيشمل كل خير من طاعة وبرّ وإحسان إلى الناس. ولا يذكر المعروف في القرآن إلا في الأحكام المهمة .

والثالث : الإعراض عن الجاهلين ويكون هذا في عدم مقابلة السّفهاء والجهّال بمثل فعلهم، والابتعاد عن معاشرتهم ، والصّبر على سوء أخلاقهم ، عملا بقوله تعالى " وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا " [الفرقان ٦٣] .

لما نزل قوله تعالى " وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ " ، قال عكرمة : قال عليه الصّلاة والسّلام: «يا جبريل، ما هذا ؟ قال: إنّ ربّك يقول: "هو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك".

فجاء الإسلام ليهذب السلوك والأخلاق ويسمو بالنفوس إلى درجات الرقي والتحضر ، ويدعو إلى حسن التعامل مع الآخرين ويعد ذلك من أعظم العبادات والقربات إلى رب الأرض والسموات .

ولما كان الدين المعاملة في القول والفعل والأخلاق ، فقد فكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) ألين الناس قولا ، وأطهرهم فعلا وخُلقًا، فأظهر الفهم الصحيح للإسلام سلوكًا عمليًا عرفنا أثره في معاملته للناس ومخالطته لهم، فكان نِعم القدوة والأسوة كما قال الله – سبحانه –: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب:٢١]. وقد أمرنا باتباعه صلى الله عليه وسلم .

فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يحسن إلى الناس قولا وعملا ، وأن يتخير من الكلمات أحسنها ، ومن الجمل أفضلها ، حتى ينشر المودة والألفة بين أهله وأصدقائه ومجتمعه .

فالقول الحسن اللطيف يفتح مغاليق القلوب ، ويورث المحبة والتقدير ، ويدل على سمو نفسه ، وعفة لسانه ، قال تعالى " {وقُلْ لعبادي يقولوا الّتي هيَ أحسنُ إنَّ الشّيطانَ يَنزَغُ بينَهُم إنَّ الشّيطانَ كان للإنسانِ عدوّاً مُبيناً) " [الإسراء : ٥٣] .

وعَبْد اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اللَّعَّانِ وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِيءِ " (رواه البزار) .

إن المعاملة الحسنة والأخلاق – وهي سلعة نادرة – تكشف معدن الإنسان وتظهر سمو فكره ، والناس لا يحبون العابد المتكبر ، وإنما يحبون البسّام الهيّن المتواضع ، وهذه صفات نبينا التي جمع بها من حوله : " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ " (ال عمران :١٥٩) .

وإذا تتبعنا أخبار المسلمين المخلصين الأوائل وجدنا أن عامة من دخلوا في الإسلام ليس إلا بسبب خُلُق رأوه من مسلم فأقرَّت قلوبهم قبل عقولهم أن الإسلام هو دين الله الحق فدخلوا فيه أفواجًا .

وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوء الخلق والمعاملة السيئة للناس حتى ولو كنت عابدًا زاهدًا فهي تضيع الأجر والثواب .

إن دين الإسلام هو دين السماحة واليسر في جميع المعاملات ، وقد أثنى (نبينا صلى الله عليه وسلم) على من كان سمحاً في بيعه وشرائه ؛ فعن جابر رضي الله عنه: قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى ، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى ، سَمْحًا إِذَا قَضَى.) [رواه ابن حبان].

فيجب على المسلم ألا يستغل حاجة الناس وفقرهم وشدة حاجاتهم ، فهذا يُعد من التعسير والتضييق على الناس مما يوغر الصدور ، ويزيد الأحقاد ، وينشر الكراهية والبغضاء وهذا ما لا يريده الإسلام ولا تقبله النفوس المؤمنة ، وليعلم الرجل السمح في بيعه وشرائه أن الله سيرحمه في الدنيا والآخرة ، فعن ابن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (ألا أخبركم بمن يحرم على النار ؟ تحرم النار على كل قريب هين سهل) [أخرجه الترمذي] .

بهذا يكون المسلم قريباً من الناس فإذا أحب الله تعالى عبدًا جعل محبته في قلوب الخلق

وكل هذا راجع إلى حسن المعاملة وحسن الخلق ، فالإنسان المؤمن يتعامل مع الخَلْق المعاملة التي يجب أن يعامله الناس بها ، فيُحسّن خُلُقَه ولا يبتغي من وراء ذلك إلا وجه الله .

ولكي تكونَ المعاملة حسنة يجب ضبط السلوكيات الأخلاقية ، ومنها الأمانة التي يجب أنْ يتَّصِف بها المسلم ؛ لأنها من الدِّين، ولثقلها أبَت السماوات والأرض والجبال حَمْلَها وحمَلَها الإنسان، قال تعالى – : (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) [الأحزاب: ٧٢] .

وقد وَرَد في القرآن الكريم ما يؤكِّد أهميَّة هذا الخلُق الكريم للرجل الأمين في أكثر من موضع، من ذلك على سبيل المثال قولُه تعالى : (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) [القصص: ٢٦] .

كما أمرنا الله تعالى في كتابه بحفظ الأمانات وأدائها في قوله تعالى -: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) [النساء: ٥٨].

وحذر الله تعالى المؤمنين من الخيانة بكافة أشكالها ، لأن خائن الأمانة مضيع للحقوق ، ومقطع لأواصر المحبة ، ويلحقه غضب الله تعالى في الدنيا وعذاب الله في الآخرة ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [الأنفال: ٢٧] .

وهذا مما أشار إليه النبي (صلى الله عليه وسلم) فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَلَّ مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلا قَالَ : " لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ" [أخرجه الإمام أحمد] .

ويقول (صلى الله عليه وسلم) أيضًا : " أدِّ الأمانة إلى مَن ائتمنَك، ولا تخن مَن خانَك " [أخرجه الحاكم في مستدركه].

ومما يدل على المعاملة الحسنة و انضباط السلوك الصدق في المعاملات ، فالمسلم الحق صادق في كل أقواله وأفعاله ، لا خوفًا من عقاب ، ولا هروبا من عذاب ، ولا بحثًا عن مصلحة شخصية ، ولا مآرب دنيوية .

ألا فليصدق المسلم مع أخيه ، وقد روي أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كَبُرَتْ خيانة أن تحدِّث أخاك حديثًا ، هو لك مصدِّق، وأنت له كاذب " [أخرجه أحمد] .

وصدق قول القائل :

عـوِّد لسانك قول الصدق تَحْظَ به — إن اللسان لمـا عـوَّدْتَ معـتـادُ

ومن الأخلاق التي تكون دليلا على المعاملة الحسنة وانضباط السلوك الإنساني الوفاء بالعهد وهو خلق كريم ، من أخلاق الإسلام ، كما قال الله سبحانه وتعالى -: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) [الإسراء: ٣٤] ، وقال في صفات أهل الجنة : (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) [المعارج: ٣٢] .

وإذا نظرنا إلى سيرة الحبيب (صلى الله عليه وسلم) لنأخذ موقفًا واحدًا من المواقف العظيمة في الوفاء بالعهود ، منها : ما كان قبل غزوة "بدر" حين أخبره حذيفة بن اليمان، ": أن كفَّار "قريش" قد أخذوه قبل أن يدخل المدينة هو وأبا حُسَيل، فقالوا إنكم تريدون محمدًا، قلنا: ما نريد إلا المدينة ، فأخذوا منا عَهْد الله وميثاقه لننصرفَنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معك يا رسول الله ، ومع أنه كان في أشد الحاجة إلى الرجال ليقاتلوا معه ضد المشركين، وبالرغم من كلِّ هذا، قال لهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((انصرفَا نَفِي لهم بعَهْدِهم، ونستعين الله عليهم)). [صحيح مسلم] .

إن كان هذا هو وفاء المسلمين لغير المسلمين ، فكيف يكون وفاءُ المسلمين للمسلمين ؟! .

لقد دعا الإسلام إلى المعاملة الحسنة مع كل أعضاء المجتمع أطفالا وشيوخًا ونساء ورجالا ، فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يحسن معاملة الأطفال ويفيض عليهم من حنانه ويحبهم ويقبلهم ويداعبهم ويلاعبهم ويسأل عنهم ، ويسلم عليهم، ويمسح على رؤوسهم ويضع يده الشريفة على خدهم، ويدعو لهم ويضعهم في حجره ، بل ويستمع إلى أحاديثهم ، فهذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه ابن عباس وعن يساره الأشياخ – كبار الصحابة – فقال لابن عباس" أتأذن لي أن أعطي هؤلاء " فقال : لا والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدًا ، قال فتله (دفعه إليه) رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في يده [صحيح البخاري] .

ومن جمال سيرته صلى الله عليه وسلم معاملته الحسنة مع الخدم فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : "ما ضرب رسول الله بيده خادمًا له قطّ، ولا امرأة، ولا ضرب رسول الله بيده شيئًا قطّ، إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خُيِّر بين أمرين قطّ إلا كان أحبهما إليه أيسرهما إلا أن يكون إثمًا ، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله (عز وجل) فينتقم لله" [صحيح البخاري] .

قال أنس رضي الله عنه خدمت النبى (صلى الله عليه وسلم) عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ليس كل أمرى كما يشتهى صاحبى أن أكون عليه ما قال لى مرة أف قط وما قال لى لما فعلت هذا ولم لم تفعل هذا " [سنن أبو داود] .

ولما كانت حقيقة الدّين تتجلّى عمليًّا في إحسان معاملة النّاس، فإنّ مفهوم المعاملة واسع يشمَل كلّ علاقات المسلم وغير المسلم ، فحثنا الإسلام على التعامل مع العدو معاملة حسنة فكان صلى الله عليه وسلم يتعامل مع أعدائه وهو متمكّن منهم، فلم نعرف في السيرة والتاريخ أرحم منه مع أعدائه رغم ما كان يلاقيه منهم من الأذى فكان مثالا للأخلاق الحسنة ، ماذا أقول عن رجل هدى الله به الحيارى ؟ ! ، فالدين المعاملة أيها الطبيب فكن رحيمًا بالمرضى وخفف عنهم الآلام ولا تثقل عليهم وعليك بطيب الكلام وما يبث الأمل في النفوس و الرجاء في القلوب .

الدين المعاملة أيها المهندس فكن مخلصًا في عملك وتعامل مع الناس بأمانة وصدق ولا تقلق من الرزق فهو مكتوب مع الأجل .

الدين المعاملة أيها المسلم فلتكن أخلاقك حسنة مع الناس ، فعنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ")) (مسند الإمام أحمد).

الدين المعاملة أيها المدرس فعلّم أبناء المسلمين ما ينفعهم في الدنيا والآخرة وكن أنت قدوتهم في المعاملة والنصح وفعل الخيرات وترك المنكرات .

الدين المعاملة أيها المواطن الصالح : فعامل الناس كما تحب أن يعاملوك وكن متواضعًا ولا تقابل السيئة بالسيئة بل قابل السيئة بالحسنة ،وأتقن عملك ، ولا تتبع عورات الناس ، وكن محبًا لدينك، مخلصًا لوطنك ، إيجابيًا لا سلبيًا .

فالمسلم الحق هو الذي يترجم إسلامه إلى سلوكيات إيجابية في واقع حياته ، ليعود أثر ذلك عليه وعلى المجتمع بكل ما هو مفيد وصالح وفيه النفع لعامة المسلمين ، فلقد جعل النبي الكريم حسن المعاملة والعلاقة مع الآخرين من كمال الإيمان فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ") [مسند الإمام أحمد].

وقال (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق) [رواه البزار].

وفي مقابل ذلك قد تكون المعاملة السيئة مع الناس سبباً لدخول النار حتى ولو مع الاجتهاد في العبادات، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:(قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا ،غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ :"هِيَ فِي النَّارِ". قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقِطِ – القطع من الجبن– وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ) [رواه أحمد].

وهناك ارتباط وثيق بين الأخلاق والإيمان، وكل عمل يقوم به العبد المسلم يحتاج إلى الأخلاق الحميدة والصفات الحسنة ولاشك أن من فقد الإيمان والتقوى فقد فقد تلك الأخلاق ، وكلما كان المؤمن أكمل أخلاقاً كان أكثر إيماناً .والالتزام بمكارم الأخلاق فيه تقوية لإرادة الإنسان وتمرينها على حب الخير وفعله والبعد عن الشر وتركه ، وبذلك تتحقق سعادة القلب ، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في التحلي بالأخلاق الكريمة والصفات الحسنة ، والتي تعود بالنفع على الفرد والمجتمع والأمة .

بل إن المعاملة الحسنة والخلق القويم تدعو إليها الفطر السليمة، فهي أخلاق فاضلة يستحق صاحبها التكريم والثناء .

ومن أثر المعاملة الحسنة وحسن الخلق على الفرد والمجتمع أَيَضًا أنه يكون سببًا في شيوع المحبة والرحمة بين أفراد المجتمع ، وإزالة أسباب الشقاق .

إنه حين يتعامل الناس معاملة حسنة بعضهم مع بعض يسود في مجتمعهم الصدق ، والأمانة ، والوفاء بالوعود ، والتواضع ، واحترام الكبير والعطف على الصغير وتقبل النصيحة وأداء الواجبات بكل دقّة وإخلاص ، حينئذٍ لن نجد مستغِلا أو غاشًّا أو سارقًا أو متطرفًا أو منحرفًا .

إن المعاملة الطيبة تورث التقوى والورع وتكسب ثقة الآخرين ، وتجلب الخير والبركة ، وتكون سببًا في رفع الدرجات و الحصول على عفو الله ومغفرته .

اللهم اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنّا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت .

****